مكين صادق بل على سند وهمي او على مبالغة لا غير وقد اشاع هذه الاراجيف بعض المتشدقين بمعرفة أسرار هؤلاء الاقوام وتمويهاً على عقول الاغرار

وقد سألت يذاتي يزيدياً مُطلعاً كل الاطلاع على أخبار قومه واستطلعتُ حقيقة الامر في ذلك فقال: «كان اخي من المتردّدين الى جبل سنجار كلّ التردّد فسألتهُ قائلا: أصحيح انهُ يوجد عندنا في الجبل مكتبة نفيسة عظيمة فيها كتب عديدة جليلة قديمة على ما يرويهِ نصارى هذه الاصقاع. قال: اني انا ايضاً قد سمعتُ مثلك بهذه الاخبار فاستخبرتُ عن ذلك صديقاً كان مقرّباً من الشيخ فقال: انهُ لا يوجد الّا ستة او ثمانية كتب محفوظة في غرفة خصوصية ومفتاح قفلها عند الشيخ وقد أُقيم على بابها حارس يحرسها. وهو يُخرجها في الشهر مرّة في ايام القيظ ويشمسها لكي لا تفنيها الرطوبة. ثم يخزنها وتُعاد الى محلّها. والغاية من هذا التبخير طرد السوس عنها لانها تكرهُ رائحتهُ ولا يجوز لاحد ان يمسك هذه الكتب بيديهِ الّا الشيخ وابنهُ وإلّا يُقتل

والخلاصة مما تقدّم انّ ديانة اليزيدية هي بمنزلة كشكول لجميع الاديان. او هي بين الملل والنحل بمنزلة سفينة ابينا نوح في ايام الطوفان. اذ بها من كل معتقدٍ مقبولاً او مرذولاً زوجان. او هي في وسعها كقصر غمدان. اذ يُقبل فيها كل ما يدخل في حيز المحال والامكان. كما يتضح لك ذلك مما نذكرهُ باجلى برهان. واوضح بيان. وعلى الله التكلان (البقية تأتي)

السفر العجب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريغو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل السادس

في النجاة

ان مدينة نيويورك من ابهج مدن الدنيا واعظمها رونقاً وفخامةً وهي قائمة في

بالبحث عن هذه الشيعة واصحابها وكان قد اعدّ مقالةً لدرجها في المشرق لكن لمّا وقف على ما كتبتهُ في زيارتهِ اياي امسك عن الكتابة ورفع اليّ ما ابتدأ بتدوينهِ. وعليهِ فاني كلّ مرة اخذتُ عنهُ شيئاً نوّهت بهِ قياماً بواجب الشكر وارجاع الفضل لذويهِ

جزيرة على مصب نهر الهدسون ونظراً لتزايد اتساعها ضاقت الجزيرة عن استيعابها فمدّت الى الناحية الشمالية خطوطاً طويلة من المنازل يفصلها عن بعضها شوارع متآزية وتقطعها زوايا مستقيمة مما يجعل لها مشهداً يشبه رقعة الشطرنج العظيمة. وقد تشيّدت حول المدينة الاصلية مدن أخرى عديدة ولكنها ما لبثت ان اتصلت بها بحيث صارت معها مدينة واحدة كبيرة لا تقلّ مساحة سطحها عن ١١٠ كيلومترات مربعة. وفي هذه المدينة مليونان من السكّان تراهم دائماً في تزاحم وتسارع الى اشغالهم. اما الشوارع فلا تزال تجري فيها ليلاً ونهاراً العربات والحوافل (أمنيبوس) وعجلات الترامواي الكهربائي كما تمرّ ايضاً مركبات السكك الحديدية فوق المنازل

على ان الغريب الذي يشاهد هذه المناظر يقف عندها مبهوتاً حائراً بينما ان الاميركي لا يتأثر منها مطلقاً لكونه قد ألف رؤيتها واعتاد مشاهدتها كل يوم. وجميع المخابرات تجري في نيويورك اما بالتلغراف او بالتليفون ولذلك تُعدّ الاسلاك الممدودة في الجوّ لهاتين المصلحتين بالالوف ولا تكاد تدخل فندقاً الّا تجد فيه كل ما يلزم للمخابرة مع اقصى اطراف المدينة. وابلغ من ذلك انك تستطيع وانت في حجرتك ان تستدعي ما شئت من عربة او شرطي او غيرهما حتى اذا احتجت الى رجال المطافئ ايضاً امكنك ان تأتي بهم في الحال. نعم ان في الشوارع الكبيرة من نيويورك قصوراً عظيماً من الحجر المانع (غرانيت) او الرملي الاحمر او الرخامي الابيض الّا ان فيها ايضاً كثيراً من البيوت الخشبية. وانما يختار الاميريكيون بناء منازلهم بالاخشاب لانها اوفر اقتصاداً واخف ثقلاً فيمكنهم عند الاقتضاء ان ينقلوها من مكان الى آخر مجرورة بالقواطر الكهربائية. وحوادث الحريق كثيرة في اميركة ولكن ماذا يهمّ الاميريكيين اذا احترقت منازلهم الخشبية طالما انهم قادرون على ان يجدّدوا بناءها على طرز أجمل وأوفر ملاءمة للصحّة. ثم انهُ لا يخفى ان الاختراعات في اميركة ما زالت تتوالى وتتعاقب واللاحق منها يقوّض السابق فاذا كانت تؤول الى جرّ مغنم لمخترعها فقد ادركت غايتها القصوى وغرضها الاسمى وكل ما تبقّى يُعدّ امراً ثانوياً قليل الاهمية. على أنّ كلّ من باشر عندهم امراً ولم يصب فيه نجاحاً لا يقنط ولا ييأس بل يستأنفهُ مرةً أخرى بعزم اشدّ وطرق أجدّ فاذا حبط مسعاهُ نهض ايضاً بهمة اعظم واذا قُدّر لهُ عدم النجاح هذه المرّة فانهُ يأمل التوفيق في مرّةٍ أخرى ولا يزال هكذا حتى يستتبّ لهُ الفوز

بالرام او الحِرْمان التامّ . والمزاحمة في اميركة اعظم بكثير مما نتصوّرهُ بل انها تجري على وجوه لا يعرفها الاوربيّون فكثيرًا ما يتفق ان تتعاون الشركات المتنافسة وتساعد بعضها على النجاح ولكن على امل ان تسعى بخراب بعضها في المستقبل

ومن يخرج الى السهول الاميركية يرى اسلاك الحديد ممتدّة بعضها حذاء بعض ويشاهد المحطات متقاربةً متدانيةً . وللمسافر ان يختار ركوب السكة التي يشاء ويريد . واما الحكومة فانها لا تقتصر على بسط حمايتها على هذه الشركات المتنافسة بل انها تخصص رواتب معينة لكل واحدة منها

وكانت الشمس وقتئذٍ قد اشرقت مرسلة اشعّتها الذهبيّة على سقوف المنازل . واخذ الناس يخرجون من بيوتهم وينبثّون في شوارع المدينة . فمنهم من يركب العَرَبات ومنهم من يتزاحم عند محطّات السكك الحديدية بينما كانت قواطرها المعلقة في الجوّ تُسمع اصوات صفيرها الحادّة والقطارات المتحركة بالكهربائية او المجرورة بواسطة الخيل تنقل جماعة الفعلة الى المعامل التي فيها يشتغلون . وكان اصحاب الحانات قد بادروا الى فتح حوانيتهم وبعضهم كانوا قد فتحوها مدّة الليل بطوله فكان الفعلة يمرّون عليها ويتناولون قدحًا من الشراب وهم وقوف ثم يستأنفون مسيرهم بسرعةٍ

وكان «المستر نسيب» قد نهض من النوم في اليوم المذكور وهو فرح جذلان لانهُ كان قد كسب ارباحًا غير قليلة من البضائع التي اتى بها من سان فرنسيسكو . والمستر الوما اليهِ ممتدل القامة اسود الشعر خفيف الشاربين وكان قد اطلق شعر عارضيهِ تبعًا لعادة الاميركيين وحلق شعر ذقنهِ . أمّا القذال منهُ فكان مسطّحًا . ولكن لا بد ان تعلم ان المستر نسيبًا هذا كان قبلًا من لابسي الطربوش الاحمر وقد أقام في لبنان وولد فيهِ . ولمّا بلغ السنة العشرين من عمرهِ ترك الجبل قاصدًا الديار الاميركية حيث مضى على اقامتهِ فيها نحو عشرين سنةً وبما انهُ كان موفّقًا في اشغالهِ فلم يخطر لهُ ببال فكر العودة الى وطنهِ . وكان في بدء امرهِ قد ذاق من العيش أمرّهُ حتى ألجأتهُ الحال الى التكفّف فضاقت الدنيا في وجههِ وعزم ان يرجع الى وطنهِ لو أتيح لهُ ذلك . وبينما هو في ضيقة شديدة تيسّر لهُ الاستخدام بصفة عامل عند احد المعدّنين في مناجم كاليفورنية فاقبل على الشغل بانصباب فاحبّهُ معلّمهُ وجعلهُ شريكًا لهُ في العمل . ثم ما لبث معلّمهُ ان توفي فورث ثروتهُ وبقي وحدهُ مالكًا لتلك المناجم المكتشفة . وبما انهُ كان اقترن بشابّة

اميريكية اتخذ مقامهُ في مدينة سان فرنسيسكو لانها مركز الاشغال ومحور الاعمال. هذا من حيث احواله المالية واما من حيث الديانة فكان قد اهملها كل الاهمال وانخرط في سلك احدى الشيع البروتستانية. وما كان انخراطهُ فيها ليقينهِ بصحة عقيدتها بل لانهُ وجد فيها مصلحتهُ وفائدتهُ ولا يخفى ان المصلحة او اهواء القلب هي العامل الوحيد الذي ينكب بكل رجل متراخٍ عن سلوك الطريق القويم

سبق القول ان المستر نسيب كان في صباح اليوم المذكور فرحًا جذلًا وقد خرج من الفندق الذي كان نازلًا فيهِ قبل موعد خروجهِ الاعتيادي لانهُ همَّ بان يتمم بعض حسابات لهُ قبل سفرهِ الى سان فرنسيسكو. وبينما كان يُسرع الخطى الى مصيف بقرب نيويرك اذ سمع وهو ذاهب صوت شخص ينّ ويتوجع. فوقف واصاخ سمعًا فاذا بالصوت قد انقطع فظنَّ ان أُذنهُ قد خدعتهُ. وهمَّ بان يستأنف السير ولكنهُ سمع الصوت مرَّة ثانية وكان اقوى من المرَّة الاولى. فوقف واخذ يتفرَّس في الأدغال التي خرج منها الصوت ثم ازاح اغصانها الملتفة بيدهِ فشاهد بين العليق والاشواك جثة رجل مصفرّ الوجه رثّ الثياب متلوث بالغبار والاوحال

فمدَّ اليهِ يدهُ فجسَّهُ فلم يرَ فيهِ علامة حياةٍ ثم أحنى رأسهُ ووضع أُذنهُ على صدرهِ وطفق يتسمع نحوًا من ثانيةٍ فلم يسمع لقلبهِ خفقانًا فاصفرَّ وارتعش وغلب على ظنهِ ان الرجل ميت

ثمَّ تفرَّس في وجههِ وسائر ملامحهِ فخطر لهُ انهُ لبناني لانهُ لم يكن نسي هيأة اللبنانيين الذين عاش بينهم منذ طفوليته الى حد العشرين من سنهِ. وتذكر انهُ شاهد منهم بالامس عددًا غير قليل كانوا قد وصلوا مع السفينة «مدينة بوردو» فعرفهم من مجرَّد النظر اليهم. وبما انهُ أتى هو ايضًا الى اميركة فقيرًا وقاسى في بدء امرهِ مرارات الشقاء حنَّ قلبهُ على ذلك الفقير الذي كان يشاهد جثَّته

ثمَّ انهُ فتش جيوبه لعلهُ يرى ما يؤكد لهُ كونهُ لبنانيًا فلم يرَ شيئًا فحينئذٍ حوَّل وجههُ ومشى ليُخبر رجال الشرطة فلمَّا تخطَّى الدغل والتفت الى الجثة التفاتةً اخيرة رآها ترتجف فظنَّ لاوَّل وهلة ان الريح تتلاعب بالعليق. فحدَّد النظر فابصر ان الحركة في الجثة فعاد على عقبيه وتسمَّع باذنيهِ فسمع القلب يخفق خفقانًا خفيفًا. فتردَّد نسيب برهةً وقال في نفسهِ اذا كنت اذهب لآتي بممرضة الى هذا المسكين فانهُ يموت قبل ان

اعود. فالاوفق ان اعمل ما في مكنتي لمساعدته لعلّ الله يمنّ عليه بالنجاة مما هو فيه. ثم اقبل يفرك جسمهُ البارد. وما زال يجدّ والرجاء واليأس يتنازعانهِ حتى تصبب جسمهُ عرقًا ومع ذلك لم يكلّ عن الفرك الى ان عاد التنفس شيئًا بعد شيء للرجل المجهول فصرخ متنهّدًا وفتح عينيهِ. ثم انهُ هتف قائلًا كأنهُ استيقظ من حلم شنيع: « اتركوني اتركوني. لا ترجعوني الى سورية ». وهاج بعد ذلك محاولًا التخلص. فرام المستر نسيب ان يهدئ روعه ويسكّن خوفه فازداد هياجًا وهو يقول: « انهم لاحقون بي وقد قبضوا عليّ فيا لتعاستك يا فاضل »

— يا صاح ليس ههنا احد يريد بك شرًا

لكن المسكين لم يسمع شيئًا من هذا الكلام لانّ رأسهُ كان ملقىً على الارض وقواهُ خائرة. على انهُ كان يجهل اللغة الانكليزية التي تكلم بها مخلّصهُ

حينئذٍ تقدّم نسيب الى مسيل بالقرب من المحلّ واتخذ منهُ ماء ورشهُ على جبهة الرجل المجهول الذي بقيت عيناهُ مطبقتين مع ان لسانهُ كان يكرّر هذه الكلمات: « اتركوني اتركوني. وجسمهُ يختلج اختلاجًا مرعبًا »

اما نسيب فبذل غاية جهدهِ ليزيل عن فاضل خوفهُ ويرجع اليهِ صوابهُ فما استطاع الى ذلك سبيلًا. ولما نفدت منهُ الحيل خطر لهُ ان ينطق ببعض كلمات عربية لعلّ هذا المجهول يستأنس بها اذا كان سوريًا

وما كاد يُخرج فكرهُ الى العمل حتى رفع الرجل رأسهُ قليلًا وأصاخ باذنه ثم فتح عينيهِ وحدّق ببصره في الشخص الذي يكلمهُ ثم قال لهُ بصوت متخاذل: « بحياة ربك لا تسلمني ولا تخني »

فقال المستر نسيب: من أنت ومن اين آتٍ ومن يطلبك!

اما المجهول فتردّد برهةً ثم قال اخيرًا: « اني لبناني ». وبعد ان استوقف من المستر نسيب شرع يخبرهُ بحكايته

الفصل السابع

سان فرنسيسكو

بينما كان فاضل يحدث نسيبًا بقصته كان نسيب يتذكر ايامهُ السالفة التي فيها اتى

الى الديار الاميركية مدفوعاً بحبة الذهب. وخطر لهُ ما ذاق في فاتحة امره من المشاق ومصاعب الفقر والاحتياج فشفق على فاضل الذي يجمعهُ واياهُ وطن واحد وافتكر ان يعلم رجال الشرطة بامره فيأخذونهُ الى المستشفى حيث يُعالَج فان شُفي أُعيد الى وطنهِ مجاناً وان مات أُخذت جثته لكونه غريباً الى المدرسة الطبية فتُشرحت امام الطلبة

اما فاضل فقرأ على وجه نسيب ما كان يجول في ذهنه من الافكار ثم نهض متثاقلاً حتى وصل الى قدميهِ وانحنى عليهِ قائلاً : « بحياة الله أخفني ولا تدع احداً يراني »

فحوّل نسيب رأسهُ ولم يُجِر جواباً. امّا فاضل فكرر كلماتهِ السابقة قائلاً: « بحياة الله استرني »

— كيف السبيل الى اخفائك وانا غريب وقد جئت هنا لبعض اشغال وانا مسافر اليوم. ولو كان بيتي هنا لكنت افتحهُ لك بكل قبول ولكن ليس لي هنا بيت بل انا مقيم في سان فرنسيسكو التي تبعد ١٤٠٠ كيلومتر عن نيويورك

فما سمع فاضل اسم سان فرنسيسكو حتى ارتكض قلبهُ في صدرهِ وصرخ قائلاً لنسيب: « بحياة والدتك ارجوك ان تأخذني معك الى سان فرنسيسكو. وتأكّد انك اذا فعلتَ معي هذا الجميل لا انقطع عن خدمتك كل حياتي » . وكان فاضل يقول هذه الكلمات وقلبهُ يخفق وجسمهُ يرتعش (ستأتي البقية)

آثار شرقية جديدة

كتاب التحفة السنيَّة باسماء البلاد المصريَّة

جمع الشيخ الامام شرف الدين يحيى بن المقرّ بن الجيعان

طُبع في القاهرة جمعَّة الدكتور ب. موريتس سنة ١٨٩٨ صفحاتهُ ٢٧٠

قد اصبحت المكتبة الخديويَّة منذ تولى ادارتها بعض امائل العلماء المستشرقين كالدكتورين فولرس (K. Vollers) وموريتس (B. Moritz) متهلاً للآداب يستقي